

الى الأستاذ البرازي

حول الفقه الاسلامي

والفقه الروماني

للأستاذ صالح بن علي الحامد العلوي

قرأت ما سطره قلمكم أيها الأستاذ الفاضل في العدد ١٠٨ من الرسالة الغراء ردًا على وعلى الأستاذ علي الطنطاوي وما كدت أوغل في أسطره حتى أرسلت زفرة حارة تتخللها آهة من أعمق صدري لا لأنك خالفتني في رأيي أو لأنك أتيت لتدافع عن الفقه الروماني أو غيره . ولكن لتلك الروح التي تبدو من خلال سطره ، روح الافتتان بأوروبا وما تقولها أوروبا والاستماتة في سبيل الدفاع عنها والفناء فيها وعدم الاستقلال أمام ما تخليه من الآراء والتقريرات ، ثم الوقوف مع الاسلام بروح ميتة ترعومونها روح العدل وانصاف البحث العلمي كما سماها لكم الشيوخ المحنكون ، والحقيقة غير ذلك . وبإلته الأمر وقف عند هذا الحد فقط ولكنه تمدى إلى الأزرار بالمصيبة الدينية واستهجان الماطفة القومية ودعوة الشباب المسلم إلى هذا التقليد الأعمى الذي تسمونه الانصاف لأوروبا ، وإلى الاقتداء بأمة أوروبا الأبرار الذين لا ينطقون عندكم عن الهوى بل عن علم وبحسب وانصاف . هذه النزعة الغالية جعلتني أرسل الآهة تلو الآهة على الشباب المسلم التعلم منا معاشر العرب ممن يقدون على أوروبا القوية المادية بقلوب فارغة وطباع فطيرة غير مجهزين من سلاح الاسلام إلا بوراثة اسمه ، يأتون ليكرعوا من غمار موارد أوروبا ويتشبهوا من علومها وثقافتها . فتفتحهم من فتونها وجها وتغلا صدورهم الفارغة مما تشاء هي لا ما يشاء الآباء . فيمدون وقد تشبهوا بثقافة أوروبا وأخلاق أوروبا والتعصب لأوروبا أيضا . وقد يكونون ضرودين من كل شيء إلا من تعاليم الاسلام والحاس للاسلام ، وماذا يصنعون أمام أوروبا وقد أتاهم هواها قبل أن يعرفوا الهوى ! إن أمثال هؤلاء لا يمدون عندي إلا جراثيم لا يثمنهم تشكروا بشكرو أنفسهم وواقفنا لا ننكره ذات أوروبا ولا علوم أوروبا ولا ثقافتها

أوروبا ولكننا نكره هذه النزعة الغالية ، وهذه الثقافة البيتاوية الصورية التي يتمسك بها بعض الشبان المتطرفين . أما علومها وأما ثقافتها الجديدة وصناعاتها النافعة فإنا في مقدمة من يجدها ويدعو إليها ولكن بمد غرس المصيبة الدينية والماطفة القومية في نفوس الناشئة حذراً من هذا الفناء وهذا الادغام المشين

ولست أدعي انطباق كل ما قلت عليك يا حضرة مناظري الأديب اكلا ، ولكني أقوله بمناسبة ما رأيته ملوساً في مقالك من نزعة الافتتان بأوروبا وتقليدها ودفاعك عنها دفاع السميت ، ثم تظلمك للملأها بعبارات جعلتني آخيل أننا صرنا في عصر صار فيه الشرق رب الصولة والدولة وكان الغرب على عكس ذلك ، وكأنك قمت محتسباً تستعطف العالم لانصاف الغرب الضعيف المظلوم من بني الشرق وعنت الشباب

وماذا صنعنا سوى أننا أنكرنا أن يكون الفقه الاسلامي متأراً بالقوانين الرومانية ، وأنه إذا كان بين الفقهاء تشابه فليس الحكم على أن الفقه الاسلامي هو المتأثر بأولى من العكس ، فأدلة الفقه الاسلامي صريحة والمستنبطون منها وهم مؤسسو المذاهب لا يجوز أن يقال بتأثرهم بالقانون الروماني إذ لم يتصلوا بالرومان ولم يعرفوا لغتهم ونشأوا ودرجوا في محيط إسلامي وفي ثقافة اسلامية محضة ، ومن خطل الرأي وعدم الانصاف أن يقال للمجرد وجود التشابه بين الفقهاء إن الفقه الاسلامي هو المتأثر أو الآخذ مع فقد الدليل وتوفر القرائن على ضده ، ولم لا يقول زاعمو التأثر إن هذا التشابه وليد المصادفة ؛ إذ أن الدين الاسلامي أتى في أحكامه بما يوافق العقل السليم من العدل والانصاف ، وهو دين حسن الحسن وقبح القبيح ، فما أمرنا بأمر فقال العقل السليم ليته نهى عنه ، ولا نهى عن أمر فقال العقل السليم ليته أمر به ، هكذا وصفه بعض الصحابة ، وعن هذا نشأ الخلاف بين الأشاعرة والمعتزلة في مسألة الوجوب بالعقل أو بالشرع والقول بالتحسين والتقيح المقلين ؛ فلا يعد أن تكون العقول التي عنيت بوضع القوانين لتحديد الحقوق وفصل الخصومات ، قد سادت بعض ما قرره الفقه الاسلامي الملازم لمطابقة العقل في قضائه وأحكامه ، وقد نقلنا حكاية اجتهاد القوانين الرومانية وزعم ظهورها باند ، وأن تاريخ ظهورها بزعمهم كان بمد تأسيس المذاهب وانصرام عصر

عمل قانوني سواء كان زواجاً أو يماً أو وصية أو غيره ، فعليه أن يحضر القباي ومعه الميزان ، وعليه أن يحضر الشهود الذين يشترط ألا يقل عددهم عن خمسة ، وعندئذٍ ينتدئون في عمل الطقوس المفروضة ؛ فيتلون بعض العبارات ويصنعون بعض الاشارات أو الحركات ، ثم يمك المشتري أو الموصى اليه أو الموهوب له قطعة من النحاس ويضرب بها في كفة الميزان ليقبل الطريقة القديمة المتبعة في وزن البديل ، ثم بعد ذلك يتفوه الطرف الثاني بِجُمْلَةٍ معلومة تدل على أنه قابل ومقر على هذا العمل (انظر ماين على القوانين القديمة صحيفة ٢٩٥ و ٣٠٥) فلم يكن إذن لدى الرومانيين القدماء عقود مختلفة تتوقف على النية ، بل كان من الضروري إجراء حركات معينة ، فكان الحصان في الدعوى يتكافأ أمام القاضي ، وكان المتظام يمك بخصمه من قفاه ويتضرع الى إخوانه أن يساعده ، وكان الموصى اليه لا بد وأن يخلع لباسه ويقفز ويرقص ، وكان الأب هو الحاكم والقاضي في أسرته . وجميع أفرادها داخلون في ملكه يتصرف فيهم كما يتصرف الانسان في ملكه المنقول ، فله بيعهم كالعبيد سواء كانوا نساء أو رجالاً (راجع جيبون صحيفة ٥٦٣ جزء ٤) ولم يكن حق الملكية معروفاً لديهم على النسق الذي نعرفه ، بل كان اللوك يقطعون الاقطاعات للضباط والمساکر ، وهؤلاء يجيئون الخراج من أصحابها المزارعين (ماين صحيفة ٢٦٥) ، ومن أراد الزواج يذهب ويشتري زوجته من والدها على الصورة المتقدمة مع إحضار القباي والميزان والشهود ، ثم قال : أما قانون الاثنى عشرة لوحة فلم يزل أصلاً ثابتاً ، ثم قال : ومن يطلع على أحكام هذا القانون يجد بعضها في غاية الشدة والقسوة كمااملة المدن المفلس ، فانه كان يعمل ثلاثين يوماً وهو مسجون مكبل بالحديد والقيود والملاسل التي لا يقل وزنها عن خمسة عشر رطلاً ثم يمرض ثلاث مرات في السوق العمومي لاستجداء الأصحاب والأقارب ، وبعد انتهاء الثلاثين يوماً إما أن يعدم أو يصير عبداً للذات يبيعه ويقضى دينه ، وإذا كان له جملة دائنين حق لهم أن يجزئوا لحمه قطعاً وينتقم كل منهم لنفسه بتقسيم بدنه هذا التقسيم الشنيع (انظر جيبون جزء ٤ صحيفة ٥٨٩ الى ٦٠٠) وكانت أحكام الرومان الجنائية قاسية للغاية ، فكانوا يلقون المذنب لافراس

أعنتها ومن المستحيل تأثرهم بشيء لما يظهر بعد من اختفائه ، وإذا كنا رجحنا أن القوانين الرومانية هي الآخذة عن الفقه الاسلامي فلم نقل ذلك اعتباطاً ولكن يبراهين نعتقدها كافية في ذلك ، وأخذُ أروبا عن علوم العرب غير مجهول كما تكرر في المجلات العلمية عند كل مناسبة

القول باضفاء القوانين الرومانية ثم تهرورها

أما القول بأن القوانين الرومانية قد اختفت ودرست ثم ظهرت فجأة ؛ فلستأ نحن متحطيه وإنما قاله علماء غربيون ، فقد حكى جيبون أن هذه القوانين — أي قوانين الاثنى عشرة لوحة — بقيت الى زمان جوستينيان ثم فقدت ، ونقل العلامة موسيم الجرمي في تاريخ الكنيسة في حوادث القرن الثاني عشر في العدد ٥ من الفصل الأول من القسم الثاني من الكتاب الثالث : إن الملك لوئاروس اكتشف في افتتاح أملكى سنة ١١٣٧ نسخة مجموع الشريعة الشهيرة التي كانت مجهولة على أجيال كثيرة ، فأتى بها الملك الآن الى مدينة بيزا ... الخ ولا شك أن القوانين المعمول بها قبل ظهور هذه القوانين كانت مغايرة لها أى مغايرة كما سيأتى . وأول من ابتدع هذه الحكاية أى حكاية اختفائها واكتشافها هو لود فيكوس سنة ١٥٠١ م ، ثم راجت هذه الحكاية وانتشرت في القرون الوسطى الى الآن (انظر جيبون جزء ٤ صفحة ٥٥٥) ، وقال اللورد ماكنزي في كتابه على القانون الروماني صحيفة ٦ إن هذا القانون (يعنى قانون الاثنى عشرة لوحة) لم يصل الى أيدينا وغاية معلوماتنا فيه تستند على بعض أوراق مفرقة وبعض ملاحظات تاريخية مما فقدت آثاره ... الخ

القوانين الرومانية القديمة

أما القوانين الرومانية القديمة ؛ فهذه نماذج منها ذكرها الأستاذ عبد الجليل سمد قال : إن قسه الرومانيين الأولين كان أشبه شيء بالتفصيل المضحكة (انظر تاريخ الدولة الرومانية للعلامة جيبون جزء ٤ صفحة ٥٢٧) وذلك لأن جميع معاملاتهم كانت لا تخلو من الحركات والطقوس ، وكانوا لا يفرقون بين المعاملات والأحوال الشخصية ، بل كانت الصيغة المستعملة واحدة للجميع وهي مايسمونه : (مانيباشيو) فإذا أراد أى إنسان إجراء أى

المرجوة ، لا روايته الصحيحة ، فحينئذ هو عندك في نسبه إلى
الشارع (ص) كنسبة القانون الروماني المعروف إلى جوستينيان ؛
وهذا تقرير لا أعلم مسلماً قاله قبلك أبها الأستاذ الفاضل ، فالعمدة
في اثبات القرآن الكريم ليست نسخه المخطوطة فحسب ، بل
المقرر حتى عند تلاميذ المدارس الابتدائية أن العمدة في اثبات
القرآن الكريم إنما هو التواتر ، والتواتر أقوى الأسانيد ، وقد
تلقاه الجيل عن الجيل ؛ ورواه الخلف عن السلف بالتواتر في كل
عصر من عهد نزوله إلى اليوم ، ولم يقل أحد بأن العمدة في ثبات
القرآن إنما هي نسخه المخطوطة القديمة فقط . وكيف يقاس
القانون الروماني الذي لا يملئه إلا الأفراد من التلمذ بكتاب يتلى
في كل مسجد وزاوية ، بل في كل بيت في بلاد الاسلام ، وفرض
على كل فرد من المسلمين تلاوة شيء منه في كل يوم خمس مرات ،
ذلك بعد أن حفظه الجمل الغفير عن الرسول صلى الله عليه وآله
وسلم في عصره ، حتى ثبت أنه قتل في يوم اليمامة فقط سبعون
قارئاً ، وروته الألوف عن الألوف من ذلك العصر ، وهكذا
دوابك إلى اليوم ، ولا يبلغ الطفل السلم سن التمييز إلا وبوجه
لتعلم القرآن الكريم قيل دراسته لأي شيء كان

أين يكون قانون لا يعرفه إلا الأفراد من المتصدين لدراسة
الحقوق من كتاب يدرسه العابد في محرابه ، والتاجر في سوقه ،
والزارع في ريفه ؛ ويشترك في تلاوته الشريف والوضيع ،
والذكر والأنثى من الطفل الصغير إلى الشيخ الكبير ، حتى
أننا لو فرضنا أن المدينة المصرية قد سمت العالم وتحملت أوساطه
الرفيعة والمنحطة ، وأريد أن يتلى القرآن بالذبايح على كل ذى
مصحف لا تفتحت عند سماعه مائة مليون مصحف في شرق
الأرض وغربها ، ولو أخطأ القارى في قآبته رد عليه عند ذلك
فوق ثلثائة مليون صوت من أنحاء الدنيا

هل يقاس هذا إلى ذلك إلا إذا قيست الذبالة بالنزلة ؟

وقلت : (أما المناقضات التي وقع فيها ... صالح العلوى ...
فاشير منها إلى ما جاء في السطر الثاني من الجانب الأول من
الصفحة الـ ٧٨١ من الرسالة ، فبعد أن قال : (إن الفقه الروماني
اختق ثم اكتشف ولم يظهر ولم يعمل به إلا في القرن الثاني عشر
وأنه لم يكن معروفاً حتى عند الرومان أنفسهم قبل القرن الحادى

الروحش الكاسرة في محل يسمى : الأنفتيتر ... الخ ما ذكره
هذا بمض ما قاله العلماء الغربيون عن الفقه الروماني القديم
ومخالفته للجديد ، وهو كاف - بلا شك - في خرق الاجماع التي
ادعيته عندهم يا حضرة الأستاذ على استمرار القانون المهود فيهم
من ذلك العهد ، ولا تناقضك الآن في أصل احتجاجك بسكوت
الأوربيين عن جرح القانون الروماني المهود لديكم أو تلفيقه إلا
بهذا ، ولا نعيد لك ما قاله العلامة ابن تيمية ، ولا أبو الوليد
ابن خيرة ؛ فقد يكون كل كلام لا يروج لديكم إلا إذا كان عليه
الطابع الأوربي ، فذاك عند البعض قضاء لا يرد قائله ، غير أننا
سنهلمكم ونتنظر حتى يأتي يوم تصيح بكم فيه أوروبا الحبيبية :
أن أصلحوا معلوماتكم ، وغبروا مذكراتكم ؛ فعند ذلك تحفون
لصوتها قائلين : غطى هواك وما أتى على بصرى !

مقروط قياس القانون الروماني بالقراية

قلت أبها الأستاذ في الصفحة ١٢١٦ من الرسالة : (إن
البيانات تختلف بحسب الأمور المراد اثباتها ، فإذا كانت هذه
الأمور غير مدونة بنفسها كالحديث الشريف فلا بد حينئذ من
ذكر الأسانيد وسرد الروايات ، أما إذا كان المراد اثباته مدوناً
بنفسه لم يعد مجال حينئذ إلى الأخذ بطريق الرواية والاسناد ،
وصار لا بد من التدليل عليه بنسخه الأصلية ، التي وضع بها ، أو
بالنسخة التي أخذت من هذه ، فالقرآن الكريم مثلاً لما كان قد
دون في العهد الذي نزل فيه وجمعت صحفه المدونة في عهد الخليفة
الأول ، وانتقلت اليها نسخ مخطوطة منه كتبت في عهد قريب
من عهد نزوله ، لم يلجأ إلى الرواية لاثبات صحته ؛ وكذلك أيضاً
شأن الشرع الروماني الخ) وقلت في صفحة ١٢١٥ : (إن جاز
في نظرنا لأحد من النصارى أو اليهود المتصبين أن يجزم بأن
القرآن الذي بأيدينا هو غير القرآن الذي أنزل على محمد (صلى الله
عليه وسلم) ، وأنه مختلف من جماعة من علماء المسلمين الحديثين ،
مكتفياً للتدليل على ذلك بأن يقول لنا : هاتوا دليلكم ، فقد حق
كذلك لصاحبي المقالين المتحمسين أن يزعموا ما زعموا)

فما أغناك أبها الأستاذ عن قياس القانون الروماني بالقرآن
الكريم ؛ وزعمك أن الاستناد في اثبات كونه هو المنزل على
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنما هي نسخه المخطوطة القديمة

عشر) وقال في السطر ٢٢ من الصفحة نفسها (إن دعوى اختفائه أ كذوبة) ثم ما لبث أن أستند إلى قول الملامة سافنيه : (إن القوانين الرومانية لم تختف لأنها ظلت معمولاً بها إلى اليوم من غير انقطاع) الخ

ومحصل ما نسبته إلى أيها الأستاذ أني أؤيد دعوى اختفاء القوانين إنما اكتشافها ثم ادعى أنها لم تختف بل بقيت معمولاً بها وأستند لذلك بقول سافنيه :

هكذا شاء فلذلك يا أستاذ الحقوق أن يصنع ، وهكذا أراد أن يسخ الحق ليصوره باطلاً فيقطع من عباراتي ما شاء ويصل ، ولا يتورع من أن يبالغ بمض الكلمات بلماً ؛ ذلك ليبنى مما قلته تناقضاً وانظروا أيها القراء ثم احكموا ، أما ما قلته في السطر الثاني من الصفحة ٧٨١ ؛ فهذا نصه بالحرف : (ثم إن الفقه الروماني — على زعم أنه اختفى ثم اكتشف — لم يظهر ولم يميل به إلا

في القرن الثاني عشر أو الثالث عشر بعد الميلاد ؛ أما قبل الحادي عشر فانه لم يكن معروفاً حتى عند الرومان أنفسهم ، ولا شك أن الفقه الاسلامي قد قرر وصنف الخ) فقلت هنا على زعم أنه اكتشف الخ ، لأبين أن تأثر الفقه الاسلامي بالفقه الروماني غير معقول حتى على زعم أن الفقه الروماني الموجود هو القديم نفسه وأنه اختفى ثم اكتشف لأنه على هذا الزعم لم يظهر بزعمهم إلا بعد الحادي عشر وقد وجد فقهاء الاسلام وألفوا وصنفوا قبل ذلك بزمن طويل وهناك قلت : وما قيمة زعم تأثر الفقهاء بالقوانين الرومانية إذا كان مصنفو الفقهاء وأئمتهم ومنهم : مالك والشافعي وأحمد وأبو حنيفة والثوري والأوزاعي الخ . درسوا وألفوا وصنفوا قبل أن توجد أو تعرف القوانين الرومانية للرومان أنفسهم . أليست هذه مهزلة مضحكة ؟

فهل سوغ لك هذا أيها الأستاذ أن تنسب إلى من هذا أنني أقول باختفاء الفقه الروماني ثم ظهوره ؟

وقلت انني قلت في السطر ٢٢ من الصفحة نفسها (إن دعوى اختفائه أ كذوبة) وجعلتها بين قوسين ، وهذا يفهم أنها بالحرف ، وأصلها بالنص : (إن دعوى اختفاء الفقه الروماني ثم ظهوره بعد ستة قرون أ كذوبة لا صرية فيما ، وقد كان الفقه الروماني معروفاً وهو أشبه شيء بالفصول المضحكة) ، ولكن فلذلك يا أستاذ الحقوق أدعى منها هذه الكلمات الثلاث أو الأربع

وذهبت الكلمات الباقية نحية في سبيل خلق التناقض الموهوم ١ وأما العبارة الأخيرة فلم تذكر سطرها ولا جانبها ، وقد يكون ذلك لكونها تمتد عما قبلها بأسطر والقرص إيهام القراء وجود التناقض في عبارة متصلة وقد ذكرتها أعني العبارة الأخيرة بنصها ولك الشكر ، غير إنك اختزلتها اختزالاً كي تجملني أمام القراء ملزماً بها بزعمك بالاعتراف بأن الفقه الروماني الحديث هو القديم ، والعبارة (ثم إن حكاية اختفائها وبروزها في القرن الحادي عشر لم يقل بها غير هولود فيكوس سنة ١٥٠١ م ثم راجت . أنظر جيبون ٤ صفحة ٥٥٥ ، وقد اعتبرها بمض العلماء إذ ذلك غير حقيقة فقد قال القانوني الشهير سافنيه إن القوانين الرومانية لم تختف لأنها ظلت معمولاً بها إلى اليوم من غير انقطاع . اه ، وبهذه القوانين القديمة المقدم ذكرها) هذه عباراتي حرفياً ، وبهذا وذلك ينكشف للقارئ الكريم أنني لم أقل إن الفقه الروماني اختفى ثم اكتشف إلا وأنا مبين بأن ذلك زعم ، وقلت إن للرومان قانوناً معروفاً كله همجية وقسوة ، وهو الذي لم يختف وهو المعنى بقوله سافنيه ، وكلامي صريح في ذلك وبهذا يتضح ألا تناقض وإن كان قائماً هو في تخيلة الكاتب الأديب :

باهنزا العصبية والعاطفة القرمية ١

وتقول أيها الأستاذ : فأولى بشبابنا ألا يكونوا أسرى عواطفهم من تمسب للدين ثم تقول : (إن في دواهم ما يضر بالاسلام ويسيء بثقافته الظنون)

فيا عجيباً لك أيها الأستاذ أدعائنا عن الاسلام بالبرهان والمنطق يضر بالاسلام وتمسبنا لديننا يسوء بثقافتنا الظنون ؟ هكذا تمسبنا نحن فقط يضرُ ديننا ؟ لماذا يضر التمصب (على فرض وجوده) بنا وديننا ولم يضر بأوروبا ولا بدينها وقد ضربت فيه الرقم القياسي وبلدت النهاية ؟ ألم تقول أوروبا على الاسلام بما ليس فيه وتقذف أهلها بما يندي له جبين الشرف ، وترى نبينا العربي صلى الله عليه وآله وسلم بفرى تصرخ منها الحقيقة ويضج لها التاريخ ؟ فقلت ذلك ولا تزال تفعل إلى اليوم . فهل أضرب بها لديكم فتيلاً ؟ لقد أشبع الأوروبيون ديننا زوراً وأرسموا تاريخنا مسخاً وتشويهاً مما لو جمعنا بازائه كل ما قاله متمصبو المسلمين فيهم لما كانت نسبتهم إليه إلا كنسبة التأنيف إلى حرب البوس ؛ وهام أولاء يملأون الدنيا تبشيراً بدينهم ، ودعاية لهم غير آبهين عند ذلك بأن

المصيف ... للأستاذ محمود خيرت

خلا الزبج في الصيف من ربه
وكم ضاق ربيع بسكانه
وحسبهم القبيظ عذراً فنن
ترى الناس في زمير ركضون
إذا سحر الحر رطب النسيم
وليس السفاقر ووعناؤه
ومهما تمرر طعم الدواء
فإن السلامة في شره

وأما المصيف فن ذا الذي
هناك الطبيعة فتانة
هناك الجمال وسلطانه
إذا ما الغواني رمى لحظونه
وهم الخليل ثقيل الهوم
وقد سبقت وعيه كفة
وتخطر في الشط أغصانهم
وعجب للمليحات من ذابهن

ويجئسن تحت مظلاتهم
يطوف الحديث بأرجلهم
إذا حل أذن نزيل الشباب
وإن حل أذن نزيل الشيب
ويسمعه الطير في روضه
ويجري النسيم به عاصراً

ومنن من راقها في العباب
زفير الصراغيم من صحبه

يسفوها الأديان ويكيلوا أنواع الأملك على مشرعيها . فهل أضر ذلك أيها الأستاذ عسجيتهم ؟ وهل أساء بقاقتهم لديكم الظنون ؟ أو هنيئاً مريئاً غير حاء غمامر لمزة من أعراضنا ما استحلحت أما إذا قننا لندافع عن ديننا بالتي هي أحسن ونظهر فضل تشريعه على العالم يراهن كافية وأدلة واقية متذرعين بأقوال بعض الأروبيين أنفسهم غير قاذبين لأحد ولا متهمين على أحد قلتم إننا متعصبون نسرف في القول على علماء أوروبا الذين لا يمكن أن يزوروا ، وأنهم وضعوا الحقيقة في أعلى المنازل وجعلوها فوق كل شيء . لأن فلاناً ألف كتاباً عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وفلاناً قال كلمات تعتبر ثناء على الاسلام ، والآخر مدح فلاناً المؤرخ العربي وقال إنه من سلف علمائنا ، فأولئك قوم رضى الله عنهم ورضوا عنه ، فاصبروا فان يقولوا إلا حقاً ، ولن نخبروا إلا صدقاً . ومعنى هذا أغلقوا أبواب البحث عن أوروبا وتلقوا كل ما تلقيه عليكم بالتسليم . هكذا احتججتم وبهذا قضيتهم ؛ فما لكم كيف تحكون ؟

أما العصبية أيها الأستاذ فما أعظم رزه قومنا ببقدها . وأما العاطفة القومية فما أحوج أمتنا إلى الشعور بها فإنا الآن في زمان لا ملاذ فيه إلا للقوة ولا صولة فيه إلا للعصية . فنحن في عهد تنشده فيه العصبية ومحمد فيه العاطفة الدينية ، ومن لا يتعصب لدينه لا يتعصب لقومه ولا وطنه ؛ وهل تلتمس القومية عند من لا عصبية له إلا كما تلتمس عند الديوث خلال الشرف . انني أنصحكم أيها الشباب عن هذا الضعف وأحذركم عن هذا التلاشي والاندماج في أوروبا ، إنكم في حاجة لتغير هذا

فيا شباب العرب ! كونوا في عصبيتكم لدينكم ناراً تلهب ، وكونوا في عواطفكم أعاصير تلوى بكل ما هو أمامها من باطل وبني . وكونوا في مبادئكم جيالاً لا تعباً بالزلازل ولا تحركها هوج المواقف

إن المجد والحرية يدموانكم من وراء القرون أن تتقدموا لى الأمام . فتجهزوا بأبناء جنود الفتوح وسلالة فرارس بدر . خفا الله عصبية العروبة وعاطفة الاسلام ، وسلام على صدور امتلأت أحنأؤها بنور الاسلام ، وفي سبيل الله نفوس للآباء أزهقت طمناً بالرماح وقمصاً بالسيوف سخايا على أعتاب الاسلام !

سناقورة صالح به على الخامس العلوى